مقياس التواصل الثقافي. د سي عبد القادر

الدرس الخامس، عوامل التواصل الثقافي

6 رحلة الحج كان حرص المغاربة كبير جدا على أداء الركن الرابع من اركان الإسلام كباقي المسلمين في انحاء العالم، وقد مثلت رحلة الحج اقوى الروابط التي تربط اهل المغرب بالمشرق، حيث لم تقف المسافة البعيدة والظروف الطبيعية حاجزا امام حرص المغاربة على أداء مناسك الحج، ومن جهة أخرى فقد كان اهتمام السلاطين والحكام برحلة الحج كبير، عمل السلاطين على توفير كل الظروف المناسبة لأجاح هذه الرحلة من حيث توفير وسائل الراحة والامن وتمهيد الطرق وحراستها.

ومن مظاهر اهتمام السلاطين بمناسك الحج، اعتنائهم بالمدن التي يمر بها ركب الحجيج، ففي المشرق اعتنى السلاطين في معظم الدول التي حكمت بلاد المشرق سواء في عهد الامويين او العباسيين وحتى في عهد المماليك بمحطات الحجيج في الإسكندرية والقاهرة باعتبارهما المحطة الأولى للحجيج المغاربة، حيث توفير فرصة لقاء المشايخ والعلماء والفقهاء حيث يتم تبادل المعارف واخذ الاجازات العلمي سواء اثناء الذهاب العودة، كما حظيت مدن الحجاز خاصة مكة والمدينة باهتمام السلاطين، فشيدوا المدارس وقرروا إقامة دروس في الحرمين خاصة بكل المذاهب.(سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المملوكي في مصر والشام)

ومن اجل تسهيل مهمة الحجاج فقد اهتم السلاطين والعلماء والفقهاء سواء في المغرب أو المشرق بتخصيص اوقاف خاصة بالحرمين، فقد حبس الكثير منهم المصاحف والمكتبات، مكا خصص بعض حكام المشرق احباس للحرمين منها الرواتب السنوية المشرفين عليها وكسوتها كل سنة إضافة الة كميات من الإنتاج الزراعي توزع على الفقراء، وهذا كله لخدمة ضيوف الرحمان وتسهيل التواصل بين العلماء والطلبة.

وكان ركب الحجيج الذي ينطلق من المغرب والأندلس يضم عدة فئات منهم الطلبة والعلماء والأطباء والفقهاء الذين كان هدفهم الثاني بعد أداء الفريضة هو لقاء المشايخ والاخذ عنهم

في المدن التي يمرون بها، فكان يتم تبادل المعارف والعلوم والحصول الاجازات العلمية. (القلصادي، رحلة القلصادي، تح محمد أبو الاجفان)

لقد كان لرحلة حج دور كبير في تحقيق التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق، حيث يتم فيها التعارف بين العلماء في المغرب والمشرق فتمتزج الأفكار والمعارف، فطلبة المغرب يأخذون عن علماء المشرق والعكس كذلك، فيتم الاطلاع على المستجدات العلمية وعلى المؤلفات، ولذلك فقلم نجد ترجمة لعالم من بلاد المغرب تخلوا من شيوخه من المشرق.

والى جانب رحلة الحج هناك ظاهرة المجاورة وهي لا تقل أهمية عن الحج، وهي المكوث في مكة والمدينة بجوار الحرمين مدة من الزمن لتحقيق اهداف دينية او علمية أو حتى اقتصادية، وكان اهل البلاد المغرب ومصر والشام أكثر المهتمين بهذه الظاهرة، وكان المجاورون من فئات مختلفة منهم العلماء والطلبة العلم والزهاد وجال التصوف، كما كان بعضهم يفضلون قضاء ما بقي من حياتهم بجوار الحرمين، وفي هذا الجو كانت يتم تبادل المعارف بالتقاء العلماء وطلاب العلم من مناطق إسلامية عديدة وهذا ما يحقق التواصل الثقافي.

7 الهجرة الأندلسية

تعتبر الهجرة الأندلسية من أهم الاحداث التي شهدتها الاندلس نظرا للكم الهائل من المهاجرين واتجاهاتهم المختلفة، ونظرا أيضا لتأثيرهم الكبير على البلدان التي هاجروا إليها، وتختلف الهجرة عن مفهوم الرحلة بمدلولها الاجتماعي، لان المهاجر خرج دون نية الرجوع الى بلده، ويطلق عليها في الكتب اسم الجلاء.

لقد ضمت هذه الهجرة فئات اجتماعية مختلفة منهم العلماء والحرفيون وعمال الزراعة والمعماريون والصناعيون، بينما الرحلة اقتصرت على اهل العلم، كانت الهجرة حتمية فرضتها مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية خاصة بعد سقوط دولة الموحدين، ومن أبرز دوافع الهجرة.

ـ حروب الاسترداد كعامل أساسي، بعد ضعف القوة الإسلامية تمكن النصارى من استرداد العديد من المدن، هذه الظروف جعلت الكثير من الأندلسيين يبحثون عن مناطق أكثر امنا واستقرارا في بلاد المغرب والمشرق بعد أن تأكدوا أن أيام الإسلام بالأندلس أصبحت معدودة.

ـ تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية في الاندلس فقد تمكن المسلمون من تحقيق التطور والازدهار منذ نشأة الدولة الاموية اما بعد ضعف هذه الدولة وانهيارها تدهورت الأوضاع السياسية ورغم محاولة المرابطين والموحدين انقاذ الأندلس الا ان الأوضاع زادت سوءا، وحتى دولة بني الأحمر التي ظهرت في جنوب الأندلس لم تستطيع التصدي لضربات النصارى بسبب الضعف العسكري والاقتصادي فساءت الأوضاع مما دفع بالأندلسيين الى الهجرة.

ـ المعارضة السياسية، هناك بعض المهاجرين من هاجروا بسبب تعارض مواقفهم وافكارهم مع السلطة السياسية، وخوفا من بطش الحكام فضلوا الهجرة الى المناطق الأكثر أمنا. (انجيل باليثيا، تاريخ الفكر الأندلسي)

ـ الاستقرار السياسي في بلاد المغرب والمشرق حيث تحولت بلاد المشرق الى مناطق جدب بالنسبة للأندلسيين.

أما مراحلها فقد بمرحلتين أساسيتين، مرحلة ما قبل سقوط غرناطة وتشمل هذه المرحلة فترات الضعف التي مرت بها الدولة الإسلامية في الأندلس مما أدى الى تجدد حروب الاسترداد لذلك فضل الكثير من الأندلسيين الهجرة على البقاء تحت سيطرة النصارى، وكتب التراجم والمصادر تتحدث عن الكثير من الاسر التي هاجرت الى المغرب والمشرق (أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ابن مريم، البستان).

أما مرحلة ما بعد سقوط غرناطة او بعد نهاية الوجود الإسلامي في الأندلس، فبمجرد أن تم توقيع معاهدة التسليم وشروط الصلح حتى بدا النصارى في نقذ الاتفاقية وسلطوا على المسلمين ابشع أنواع التعذيب خاصة بعد انشاء محاكم التفتيش التي

أرغمت المسلمين على التخلي عن الدين الإسلامي(علي عبد الرحمن حجي، هجرة علماء الاندلس لدى سقوط غرناطة، مجلة المجمع الثقافي أبو ظبي)،مما دفع بهم الى الهجرة خاصة بعد ظهور فتاوي تجيز الهجرة، ومنها فتوة الونشريسي، وملخصها يكمن في البعد والفرار من ارض سيطر عليها النصارى، إضافة الى ظهور العديد من القصائد التي تدعوا الى الهجرة.(الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المعرب في فتاوي علماء إفريقية في الاندلس والمغرب).

وهكذا اضيف دور المهاجرين الى دور طلبة العلم في تحقيق التواصل بين المغرب والمشرق خاصة من خلال تأثيرهم الفعال في المناطق التي حلوا بها او استقروا بها.